

الأندلسية حقيقة حضارية وإنسانية تتلمذ عليها الغرب في حضارته المعاصرة. وبعيد سقوط آخر الحواضر الأندلسية عمدت محاكم التفتيش إلى تصفية الأندلس عرقياً ودينياً فحملت أكثر من مليون أندلسي إلى أمريكا اللاتينية. وبتجاوز التأثير الطبيعي للثقافة العربية على كتاب أمريكيان لاتين أفلح، ففي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين هاجر إلى العالم الجديد أكثر من مليون عربي من بلاد الشام وحدها: سوريا ولبنان وفلسطين. عرفهم العالم الجديد باسم «الأترك» وهو ما يضي بظلاله على الحياة الثقافية في هذه القارة، ويُغني نسجها الإثني والعقدي. ففي البرازيل وحدها اليوم يتجاوز عدد البرازيليين العرب أو من أصل عربي الإثني عشر مليوناً. وفي تشيلي والأرجنتين وكولومبيا وأمريكا الوسطى أعداد أقل من ذلك لكنها تقدر أيضاً بالملايين.

وفي بعض هذه الأقطار تلاحقت الأجيال العربية حتى أن بعضها اليوم قد نسي لغته العربية ولكنه لم ينس جذوره الإثنية والقومية والتراثية. وهذا الواقع ينعكس على عشرات الشعراء من أصل عربي في أمريكا اللاتينية، والذين نتطلع إلى تقديم مجموعة منهم قريباً للقارئ العربي، في كتابنا «فلسطين في الشعر الهسباني المعاصر»، ومنهم مبدعون أعلام في الأدب الهسباني.

- من خلال تجربتك الشخصية مع الثقافة الهسبانية نقلت العديد من النصوص إلى العربية، فكيف تقيم عملية الترجمة من الإسبانية إلى العربية والظروف المحيطة بها؟

■ للترجمة أسسها ودوافعها. ومن المؤلف أن تكون الترجمة من لغة أقوى وأشد حضوراً على المستوى الثقافي والعلمي والتداول العالمي إلى لغة أخرى أقل منها حضوراً على المستويات نفسها، وهنا تسهل عملية النقل وتغدو أمراً طبيعياً في سياق قانون الحاجة. أما عندما تكون اللغتان متقاربتان في حضورهما فإن النقل من إحدهما إلى الأخرى يصبح ثقيلاً ويحتاج إلى دوافع إضافية لكي يأخذ مجراه الطبيعي ولو في أدنى حدوده. ومن هنا يتوقف الاهتمام بترجمة الأدب الهسباني إلى العربية عند مستويات شخصية وبصورة عشوائية، ولم يحدث الاهتمام به بصورة ملحوظة إلا بعد أن طارت شهرة أدباء هسبان لسبب أو لآخر في الآفاق، ومع ذلك فمعظم ما نقل عن الإسبانية إلى العربية نقل عبر لغة وسيط وكذلك ما نقل من العربية إلى الإسبانية. ■

من هنا جاءت فلسطين في أشعار شعراء هسبان مثل كارلوس ألبارث وخابير بيان وخوليو بيليث وداسو سالدبيار وديموديس داتا وبدرو غودينيث وغيرهم تصرخ في وجه القتل والغاصبين أن ردوا الحقوق لأصحابها قبل فوات الأوان صاغرين!

- يتميز أسلوبك من خلال ما استمعنا إليك بالتوجه للمستمع كما لو كنت تحاول موضعه في بؤرة الفكرة التي توجه إليها فهل هذا صحيح؟

■ نعم، وإن كنت عن غير قصد أقوم بذلك فإنها العادة المستعصية في أستاذ محاضر قضى شرح الشباب في التوجه إلى طلابه أو إلى جمهور تتباين



مواقفه ومستوياته.

وقد أزعجني بأن معظم كتاباتي قد ولدت على ضفاف هذه التجربة وبخاصة تلك التي تعالج موضوع المقاومة، فكتاب إرنستو كاردينال هو ثمرة معرفتي بالشاعر والتقائي به واعجابي بشخصه إنساناً ومبدعاً، ومن هنا قد أكون في محاولتي تصويره قد خلقت له صورة فصلتها كما أريدها عبر قراءاتي الشخصية لأشعاره، دون أن أعير انتباهاً كبيراً لثناء النقاد عليه إنساناً ومبدعاً وثائراً. وعلى ذلك قس، فكتاب «رحماك إسبانيا خلصيني من هذا العذاب» هو خلاصة دورة دراسية أقيمتها على طلبة قسم الأدب الأمريكي اللاتيني في جامعة لاهافانا بكوبا، وكذلك «استدعاء الأندلس في الأدب الفلسطيني الحديث» فهو نتاج تجربة امتدت عبر الجامعات العربية والفلسطينية والإسبانية وأنا أعتقد أن الكتابة هي رسالة الكاتب إلى قارئه أو مستمعه، وللإقناع الموضوعي المتوازن دور كبير في توصيلها.

- في الثقافة العربية اليومية يسيطر هاجس حضور العنصر العربي على الثقافة الإسبانية والأمريكية اللاتينية، فما هي أبعاد هذا الهاجس وتقييمك لها؟

■ الثقافة العربية ثقافة إنسانية قدمت للعالم أرقى نماذج الفكر إنسانياً ونجاعة، والعنصر العربي ليس غريباً عن العالم الهسباني، فما زالت التجربة

واستمع إليه كيف يخاطب الوطن في صورة المحبوبة:

يوم أخبروني بأنك تعشقين آخر

ذهبت إلى غرفتي

وكتبت ضد الحكومة

هذه القصيدة

التي بسببها أنا الآن معتقل

فالحديث عن كاردينال شيق وممتع ويجد القارئ

نفسه في أشعاره.

- هل لك أن تحدثنا عن تلقي فلسطين في

الشعرين الإسباني والأمريكي اللاتيني المعاصرين؟

■ تجتمع الصفاتان في صفة واحدة، فنقول الشعر الهسباني. وليكن الأمر كذلك. دعنا نعود إلى التأكيد ما ذكرنا من قبل من تلاقي التجربة الإنسانية في إطارها الشمولي، فمأساة فلسطين هي أفزع جريمة اقترفت في حق الإنسانية بكل المقاييس ومن هنا يتأتى حضورها عند كل إنسان يحس بقيمة الحق والخير والجمال، ومن هنا أيضاً كان حضور فلسطين قوياً في أشعار أولئك الشعراء الذين عاشوا الظلم والقهر في لحمهم النيء وشرودوا من أوطانهم بسبب مواقفهم الإنسانية وتمسكهم بالإنسان قيمة لا يمكن مقايضتها أو التخلي عنها. فخذ على سبيل المثال ما يقوله الشاعر الأرجنتيني خوليو أواسي:

إما أن يكون للفلسطينيين وطنهم

أو لا يكون هناك وطن لأي كان